الإنفتاح الشعري للوجود "هولدرلين و هيدغر"

عمرون مليكة

جامعة وهران

يقول هيدغر: إن هولدرلين برأيي هو الشاعر الذي يومئ شطر المستقبل و هو الشاعر الذي ينتظر الاله [01] ففي ليل العالم و في ليل غياب الالهة و حينما يصير "زمن ليل العالم هو زمن الشدة" [02] يصبح الشعر ملاذا و يصبح هولدرلين هو الانتظار الأخير،و بالتالي يدخل التعلق بشعر هولدرلين مقام العبادة إلى معنى الكينونة و حقيقتها.

اسم هولدرلين يرتبط بشعر يفكر في الوجود بل إن هيدغر عند شعره بداية تفكير جديد في الوجود و لذا خلق لغة فلسفية جديدة لتأويل أشعار هولدرلين و حقق من خلاله المنعطف الشهير في التفكير.

إن رؤية هولدرلين تتجه إلى الماضي (الاغريق في حالته) و إلى توق الكائنات الإنسانية إلى هذا الماضي و هي رؤية تمثل النزعة المثالية في الفلسفة الألمانية أصفى تمثيل.

إن عالم هولدرلين معقد أشد التعقيد في تأويلاته مع أن لغته لغة محسوسة وواقعية و ذات بساطة لكن فيها نزعة فكرية نحتيه أسرت نحات اللغة هيدغر و حيرته.

عاد هيدغرإلى الشعر لأنه أعظم الفنون و أميزها في تحديد مسكن الوجود، و يخص التفكير بالوجود الشعراء المفكرين يقيم الوجود في اللغة الشعرية و ينتشر في العمل الفني الشعري "يدعونا إلى الإصغاء و الانصات إليه". (03)

إلا أننا نطرح التساؤل التالي : لماذا اختار هيدغر هولدرلين بالذات؟ :

امتاز هولدرلين على الشعراء بقدرته على التفكير في الوجود ابتداءا من التفكير في مقامه البدئي عند الإغريق يعلن ذاته أساس كل قول فلسفي ولدت الفلسفة بمولد أول شاعر فكر في حقيقة الوجود ،إن الموجود يدوم بفضل وجود الشاعر، هذا الأخير هو منشأ الوجود و حامله إلى اللغة و وضعه مصيرا للشعب.

كان هولدرلين الأبرز الذي حول قصائده أعمالا فنية خالدة تحققت ماهية الشعر في معظم أشعاره شأن كل الشعراء تم اختياره دون غيره لأسلوبه الشعري المتميز مارس اللغة دون تحفظ و اللعب بها دون حدود بتعيين ماهية الشعر في الماهية يسكن الجوهري و يقيم من لا ينكشف على الدوام. (04)

لقد أصر هيدغر على ما يسميه "الطابع الحقيقي للشعر" معتبرا أيضا أن الشعر الأصدق في العصر الحديث لا يمكن له إلا أن يكون "شعر الشعر" و الشعر الحقيقي المغني في هذا العصر ليس بحسبة الشعر الغنائي في معناه العام بل الشعر المفكر الذي يمثل شعر هولدرلين مثاله الأعلى و لن يتوانى هيدغر عن تسمية هولدرلين ب"شاعر الشاعر" لا لأنه يتساءل عن جوهر الشعر الغنائي كنوع أدبي أو يجعل من اللغة عالما مكتفيا بذاته و إنما لأنه إذ يسائل جوهر الشعر يضع فيه ما هو الأكثر جوهرية: كلمة الكينونة و هذه الكلمة تظهر يسأل الشاعر فيها الصدى و يقتفي أثره تصير اللغة هي لغة الكينونة مثلما أن السحب هي سحب السماء. (05)

فمهمة الشاعر الحقيقي أن يقول "جوهر الشعر" و شعر الجوهر " في آن واحد أي القصيدة الأصلية للكينونة و بهذا يتأمل هيدغر في اللغة انطلاقا من شعرية هذا الشاعر الألماني و يرى أن الشعر هو اللغة الأصلية لشعب تاريخي و الشعر هو القدرة الجوهرية للسكنى البشرية.

فالشاعر الحق لا يعب عن تجربته الخاصة بل يعبر عن المقدس و يعبر إليه و يسمى الوجود في ماهيته على نحو قدري، و بذلك تنمحي الذات إزاء الوجود، و ينسحب الشاعر كتجربة ذاتية و كمقام تلفظي إزاء شعر اللغة و إزاء كلام بدئي يغمر كلامه على نحو لا شخصي كما أن الشعر لا يكون فنا حسب هيدغر إلا بمقدار ما هو تسمية مؤسسة للوجود و لماهية كل الأشياء [06] فاللغة تسمي الموجودات و هي بهذا المعنى تستحضر الوجود من جهة أنها وسيلة الإنسان في الكشف عن الوجود المتحجب الذي يحيا فيه فالشعر هو التسمية التأسيسية للكائن و لجوهر كل الأشياء و هو ليس قولا تعسفيا و إنما ذلك الذي بواسطته يتم الكشف عن كل ما نعالجه و نناقشه فيما بعد إن الشعر هو الذي يبدأ بجعل اللغة ممكنة. [07]

إن اللغة من حيث هي مأوى حقيقة الوجود، ما تزال تحجب عنا ماهيتها رغم انها تقدم لنا نفسها في محض ما نريد و في ممارستنا كأداة للسيطرة على الموجود حيث يتجلى لنا هذا الأخير نفسه في نسيج العلل و النتائج باعتباره الواقعي فنعالجه من جانب بما هو كذلك ليس فقط بموارية الحساب و الممارسة و إنما أيضا بواسطة علم و فلسفة ينهجان التفسير و التعليل فاللغة قبل كل شيء هي مسكن الوجود حيث يقيم الإنسان و على هذا النحو ينوجد منتميا إلى حقيقة الوجود التي هو حارسها. [08]

أما الشعر فيفرده هيدغر بالبحث في رسالته عن هولدرلين و ماهية الشعر و قد ذهب فيها مذهبا فينومينولوجيا مزجه بطريقة تأويل النصوص و تفسيرها فالشعر عند قوامه من الكلام الذي لا ينبغي أن يؤخذ مأخذ الأداة التي يتحقق بها الاتصال بين المتكلمين و يقع الفهم و الإفهام ،بل الكلام يطابق ما يعرف عادة بالوعي الانساني و لا يوجد الوعي إلا مع إمكان الكلام و خلق اللغة، و لا شيء يسبغ على الإنسان الوعي بنفسه و بما في العالم سوى تسمية الأشياء كلها كبيرها و صغيرها. [09]

تتحول اللغة إلى عمل فني يتطلب التأويل من منطلق ذلك يعود كل عمل فني إلى أصل لغوي و يحتاج إلى لغة الشعر و إلى شعرية اللغة و تعمل اللغة الشعرية على خدمة الفكرو بلورة

موضوعاته الأساسية فهو قد اهتم بفتح قرابة بين الشعر و الفكر، فالمفكر يقول الوجود و الشاعر يقول المقدس لأنه من يبحث عن المنقذ لمصير أحاطت به أخطار التقنية ووحده الشاعر من يكتسب هذه اللغة و يمارسها لبناء أعماله الفنية، تعد القصيدة العمل الفني الجامع لكل الفنون.[10]

إن القصيدة هي نتاج كينونة الأنا فهي تعددية تضحى تأويلا للعالم، إنها تؤسس لمعرفة مختلفة تتجاوز فعل البرهنة على الأشياء و استنباطها من مبادئ و أولويات ممتلكة من خلال فعل مؤشر يدعو الوجود للمجيء إلينا، و هي مع ذلك قلما تسمح بهذا الإظهار على حد تعبير هيدغر و القصيدة من جهة أخرى استدعاء للحياة بوصفها لا تعطي شيئا اخر غير ذاتها فهي معرفة أخرى لمقاومة الملل قصد الانتصار عليه و إزاحته عن الكائن في العالم هذا المهووس بالتجدد من خلال تعلقه بلحظات الكشف و الغوص في الأعماق بحثا عن أشكال الحيوات الورائية فالقصيدة تخضع الزمن إلى رؤيتها الإشكالية التي لا يمنطقها سوى الخيال، فالزمن كما يقول الناقد الأمريكي "وك ويمزات" من بين أنماط الوجود خضوعا للخيال. [11]

بما أن الشعر إذا قارناه بالتفكير هو في خدمة اللغة على نحو متميز و مختلف كل الاختلاف لحديثنا الذي يتبع تفكير الفلسفة يؤدي بالضرورة إلى مناقشة العلاقة بين التفكير و الإبداع الشعري، فثمة بين الاثنين صلة قرابة خفية لأنهما مولعان بخدمة اللغة و عليها موقوفان، و مع ذلك توجد بينهما في نفس الوقت هوة لأنهما يسكنان على جبلين منفصلين عن بعضهما أشد الانفصال و أوسعه.

يمتاز الشاعر بعمق فكره و يحتاج المفكر إلى لغة شعرية قادرة على استعداء الغياب إلى الحضور فيلتقي الشاعر و المفكر على أرض الإبداع "إن ما يعرضه الشاعر باعتباره تصميما كاشفا و يلقى به إلى الأمام هو المنفتح الذي يسمح بالحدوث بطريقة تجعل المنفتح هذا لا ينير ،يرسل رنينه إلا في وسط الموجود. [12]

إن الفلاسفة هم المفكرون هكذا يسمى الفلاسفة باعتبار أن التفكير يحصل و يتحقق بشكل خاص في الفلسفة بقدر ما نعتقد على نحو يقيني بأن المنطق سيعطينا إيضاحا حول ما يعنيه التفكير،

بقدر ما سنعجز عن أن نتصور إلى أي مدى يتأسس كل شعر على التذكر إن كل ما يكتب من شعر ينشأ من تأمل الذكرى تحت عنوان "منيموزين" يقول هولدرلين "نحن إشارة دون معنى".

من نحن؟ نحن أبناء اليوم أبناء يوم دام طويلا و سيدوم أيضا طويلا في ديمومة لا يمكن أبدا لأي حساب زمني تاريخي أن يضبط قياسها، الشيء الذي يبقى موضع التساؤل هو بأي حق نذكر على طريق محاولة التفكير شاعرا و بالتحديد هذا الشاعر كما أن ما يبقى غامضا أيضا هو على أي أرض و ضمن أية حدود يجب أن تبقى الإحالة إلى الشعري.[13] فإذا قارنا الان الشعر بالفكر نرى أن الشعر يخدم اللغة و بطريقة مختلفة و لكنها لا تقل تميزا، يقودنا حوارنا الذي يعتمد التفكير في الفلسفة بالضرورة إلى البحث في علاقة الفكر بالشعر كليهما مهتم باللغة و لا تستوفي كل الفنون فن الشعر هي منه توجد لأنه أقربها إلى الفكر يحتاج الفكر إلى لغة الشعر ليكشف عن مقام الوجود.

لقد تطرقنا فيما سبق عن السبب الذي جعل هيدغر يختار "شعر هولدرلين" لتبيان ماهية الشعر كونه "شاعر الشعراء" و لكنه ليس بإمكاننا أن نستعرض كل اشعار هولدرلين مع شرح كل منها بل سنحاول دراسة بعض الأقوال منها.

و لهذا منحت اللغة و هي أخطر النعم، للإنسان لكي يشهد على ماهية وجوده :

هذه الشذرات تستدعي ثلاثة أسئلة تمهيدية :

- لمن تكون اللغة نعمة؟
- كيف تكون اللغة أخطر النعم؟
- بأي معنى تكون اللغة نعمة؟

لقد استهل هولدرلين البيت المذكور بهذه الكلمات: "...و إنما في الأكواخ يسكن الوجود الإنساني..." فما الموجود الانساني إذن؟ إنه ذلك الذي ينبغي أن يشهد على ما هو موجود و الشهادة هنا معناها الكشف و الإفشاء و أيضا في الوقت نفسه يجب أن نجيب في الإفشاء عما

أفشينا عنه، إن وجود الإنسان يدخل في تركيبة آنية الإنسان نفسها و لكن ما الذي يجب على الانسان أن يقره؟ إنه انتماؤه إلى الأرض هذا الاقرار ينشأ بواسطة خلق عالم و إشراق فجره و كذلك بواسطة انهيار هذا العالم و حلول غسقه و إقرار وجود الإنسان و بالتالي تحققه الأصيل عن طريق حرية اتخاذ القرار و لا بد للمرء أن يكون شاهدا على هذا الانتماء إلى الموجود في مجموعه هو ما يحدث و ما يتأرخ على هيئة تأريخ و لكن لكي يكون أي تأريخ ممكنا فلابد أن تمنح اللغة للإنسان فاللغة نعمة بالنسبة للإنسان. [14] إن اللغة ملك للإنسان و من خلالها ينكشف له وجود الموجودات و بذلك تكون اللغة نعمة. [15]

ولكن كيف تكون اللغة أخطر النعم؟ الخطر هو التهديد الذي يحمله الموجود للموجود و بفضل اللغة يجد الإنسان نفسه معرضا بوجه عام للمنكشف باعتباره موجودا يحاصر الإنسان و يشعله في آنيته، اللغة التي تنشئ على هذا النحو إمكانية ضياع الوجود أي الخطر لكن ليست اللغة هي أخطر الأخطار و لكنها تخفي بالضرورة في ولذاتها خطرا دائما و هي على حد قول هولدرلين "أخطر النعم" وحينما لا تكون هناك لغة – كما في وجود الحجر و النبات و الحيوان– لا يكون هناك أبدا تفتح لما يكون، فهذه الموجودات تنتمي إلى المجال المتحجب لأنها بلا عالم و هناك فحسب حيث توجد لغة يوجد عالم و هناك فحسب حيث يوجد عالم يوجد تأريخ، و هكذا فإن اللغة تنتمي إلى عالم الانسان و هي وسيلته في كشف الوجود المتحجب الذي يحيا فيه [16] معناه أنها تضمن أن يكون في استطاعة الإنسان الوجود بوصفه كائنا تاريخيا.

ب. و لكن ما يبقى يؤسسه الشعراء :

هذه الكلمة التي تؤلف ختام قصيدة "الذكرى" Andenken هي :"ولكن ما يبقى يؤسسه الشعراء و هذه الكلمة تلقي ضوءا على سؤالنا الذي يتعلق بماهية الشعر فالشعر تأسيس بالكلام و في الكلام و لكن ما هذا الذي يوضع أساسه ؟ إنه ما يبقى و لكن هل يمكن أن يؤسس ما هو باق؟ أليس ما هو موجود دائما قائما فعلا؟

إن الشعر تأسيس بالكلمة و في الكلمة و ما يؤسسه الشعراء هو ما يبقى و يدوم و هو يؤسسه حين ينتشل هذا الشيء الثابت من تيار التغير الجارف و لا بد له أن يكشف الحجاب عن الوجود حتى يظهر و ما يبقى "يسمي" كل ما هو موجود حاضر إذن القول الشعري "يؤسس" ما يبقى أي "الوجود" و يوقظه و يحقق له الحضور فضلا عن أنه "يحدد" وجود الانسان و غيره من الناس لأنه "يحدد" في أي عالم يجدون مستقرهم. (17)

فاللغة هي مسكن الوجود و كل موجود فنيا كان أو غير فني لا يكون في متناولنا إلا بالاستناد على أساس اللغة و بهذا المعنى يعتبر الشاعر مؤسسا"و ما يبقى يؤسسه الشعراء" على حد تعبير هولدرلين وهو ما يعني أن كل ما يعاد رسمه من طرف الفن يكون قد خضع للتسمية مسبقا و اكتشف من طرف الشاعر. (18)

إن الشعر تأسيس للوجود بواسطة الكلام و ما هو باق لا يخلق أبدا من العابر و لا نجد الأساس مطلقا في الهاوية و الوجود لا يكون قط موجودا و لكن نظرا لأن الوجود و ما هية الأشياء لا يمكن أن ينشأ عن حساب بل ينبغي أن يخلقا و يوضعا و يعطيا في حرية و هذا الإعطاء الحر هو التأسيس.

و لكن في الوقت نفسه الذي تسمي فيه الالهة أصلا و الذي تنتقل فيه ماهية الأشياء إلى الكلام لكي تبدأ الأشياء في اللمعان و في الوقت نفسه التي تحدث فيه هذه الأشياء ترتبط آنية الانسان بعلاقة ثابتة و تستقر على قاعدة فليس قول الشاعر أساسا بمعنى الإعطاء الحر فحسب بل هذا المعنى : أيضا و هو أنه يقيم الآنية و يقرها على قاعدتها. (19)

إن هيدغر في محاضرته : لماذا الشعراء؟ يتناول بالتحليل قصائد هولدرلين و ريلكه الذين يرى في شعرهما اثارا من اثار الالهة الراحلين و سؤال هولدرلين: لماذا الشعراء في زمن البؤس؟ في نظر هيدغر يحمل دلالات عميقة إذ لا أحد يستطيع أن يقتفي أثر الالهة الذين خلفوا وراءهم زمنا بائسا غير الشعراء و لكي يكون الانسان شاعرا حقا – خاصة في زمن البؤس – و يمهد فإن المهمة

المقدسة الملقاة على عاتقه هو أن يمجد القداسة في زمن البؤس و يمهد لتجلي الوجود الحقيقي. (20)

إن هيدغر من خلال محاضرته : لماذا الشعراء؟ يكشف عن أهمية الشعر في التصدي للمد الميتافيزيقي فالشاعر بإمكانه أن يحل محل الالهة المنسحبة، لم يعد للعالم ما ينقذه من محنة ميتافيزيقا التقنية إلا نداء الشاعر يحل محل الالهة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه [21] و على هذا فهيدغر قد اعتبر هولدرلين شاعرا محنكا يعرف كيفية تحويل القصيدة إلى عمل فني يملأ فراغ الانسحاب و يحل محل الالهة.

فهيدغر يرى بأن عصر التقنية بحاجة إلى الشعري وإلى التأمل في عمق القصيدة الذي يساهم في الانفتاح على الكلام والإنصات إلى وجود متوطن في اللغة، إنما الشاعر ومن عليه أن يقول في الكلام الشعري ما يأتي إليه، إذا أن ما يأتي بهذه الكيفية، هو القول الشعري الذي لا يمكن لأي قصيدة أن تقول قبل مجيئه، إنه المقدس، مايريده الشاعر هو ما يكون موافقا للقدر.[22]

ويتساءل هيدغر معلقا مرة أخرى على هولدرلين : مافائدة الشعراء في زمن الحيرة ؟ فالحيرة تسود لأن المقدس كشرط لكل حضور سليم، بما في ذلك حضور الإله ، ينسحب ويمحي، لكن بامكان الشعراء الذين يتغنون بهذه الحيرة ، أمثال هولدرين وريلكه أن يساعدونا على مقاومة هذه الفاقة التي لا تحتمل وعلى اجتياز ليل العالم هذا ، ألا وهو النهار التكنلوجي، فالتقنية تنزع القداسة لأنها تكره مالا يمكن السيطرة عليه وتنكره بالتالي. [23]

ج – يعلن هولدرين: " الإنسان غني بمزاياه ومع ذلك فإنه شعريا يقيم على هذه الأرض":

إن ما يصفه الإنسان و ما يسعى إليه يكتسبه بمجهوده الخاص، ما نقصده بالشعر الآن هو التسمية المؤسسة للآلهة ولماهية الأشياء... والإقامة شعريا على الأرض، معناها أن نصمد في حضرة الآلهة ولماهية الأشياء... وأن تكون الآنية شاعرية في أساسها معناه في الوقت نفسه أن الآنية باعتبارها مؤسسة (موضوعة على قاعدة) ليست مزية وإنما هبة. [24]

إن الميدان الذي يعمل فيه الشعر هو اللغة وينبغي أن نتصور ماهية الشعر عن طريق تصورنا لماهية اللغة، الشعر هو اللغة الأولية لشعب ما، واساس آنية الإنسان هو الحوار بوصفه مايعطى اللغة آنيتها التارخية الحقيقية غير أن اللغة الأولية هي الشعر باعتباره تأسيسا للوجود وعلى هذا فإن اللغة هي أخطر النعم، والشعر هو إذن أخطر الأعمال ولكنه في الوقت نفسه أوفر الأعمال حظا من البراءة.

إن الشعر يقول هيدغر هو اللغة الأصلية للشعب ، وهي اللغة التي تروي ما تكون اللغة في تراكمها وتكاثرها الأولي قد أوصلته في صمت إلى المنفتح ، إن الشعر هو التسمية التأسيسية للكائن ولجوهر كل الأشياء، وهو ليس قولا تعسفيا، وإنما ذلك الذي بواسطته يتم الكشف عن كل ما نعالجه ونناقشه فيما بعد ، إن الشعر هو الذي يبدأ بجعل اللغة ممكنة. (25)

عندما نتعمد جلب كلمة هولدرلين إلى ميدان التفكير، حينئذ يتوجب علينا بكل تأكيد ان نحذر من أن نسوي دون وعي بين ما قاله هولدرلين شعريا وبين ما نحن مستعدون لأن نفكر فيه تحت إسم " الأكثر إستدعاءا للتفكير"

إن المقول شعرا والمقول فكرا ليس ابدا شيئا واحدا، لكنهما قد يكونان في بعض الأحيان شيئا واحدا بالفعل عندما تنفرج بوضوح وبشكل نهائي الهوة بين الشعر والتفكير.

وهذا يمكن أن يحدث عندما يكون الشعر شعرا رفيعا والتفكير تفكيرا عميقا، هذا ماكان هولدرلين أيضا يعرف عنه الكثير. (26)

وهذا ما نستخلصه من المقطعين التاليين الذين يحملان عنوان: سقراط وألسيبيادس

لماذا تعظم، ياسقراط القديس

شباب هذا على الدوام، ألا تعرف شيئا أعظم من هذا؟

لماذا تنظر إليه عيناك بمحبة

كما لو كانت تنظر إلى الآلهة؟

(الجواب يعطيه لنا المقطع الثاني)

إن الذي يفكر في الأكثر عمقا، يحب الأكثر حياة

ويفهم الفتوة السامية، من ينظر إلى العالم

وغالبا ما يميل الحكماء

في النهاية نحو الجميل.

ذهب هيدغر في كتابه " شروح لقصائد هولدرلين" أن الشعر هو التسمية التي تؤسس الوجود، وماهية سائر الاشياء بحيث تكون "الكلمة" في القصيدة هي تلك العلاقة التي تجعل كل شيء حاضرا في الوجود ، وباقيا فيه، وإذا لم تكن الكلمة تحمل على عاتقها وجود الأشياء بل والعالم welt–world ، فسوف تغوص في الغموض والإبهام بما في ذلك الذات التي تتحدث في القصيدة ، تلك الذات التي تجلب إلى بلدها، وإلى منبع الاسماء كل المعجزات والأحلام التي تصادفها. [27]

يقول هيدغر في نص هام :

"... إذا فكرنا تفكيرا صحيحا، فلن نقول أبدا عن الكلمة إنها توجد، وإنما تهب... فالكلمة ذاتها تعطى والكلمة ذاتها هي الواهبة das gebende the giver، ولكن ما الذي تهبه ؟ إنها تهب الوجود وفقا للتجربة الشعرية، إذن تفكيرنا يبحث عن الكلمة ، تلك الكلمة الواهبة التي لا يمكن ان توهب ... وبفضل هبة الكلمة يتحقق الوجود ... وما هو جدير بالتفكير فيه "يبقى" ويظهر واضحا لأول مرة".

معنى هذا أن الكلمة لا تكون بالمعنى الذي تكون به الاشياء والموجودات، ومع ذلك فكينونتها متميزة عن كل الاشياء، ولهذا لا تقول إنها تكون ، وإنما إنها "تعطى" ، إنها تعطى بمعنى العطاء

والإهداء، وهي تعطي "الوجود" بمعنى الإنارة التي تتجلى فيها الموجودات وتظهر دون حاجة إلى خلقها وإيجادها. (28)

وقد تطرق "هيدغر" إلى الكلمة في قصائد هولدرلين الغنائية وهي "جرمانيا"، "خبز و نبيذ" وكذلك في قصيدة "الكلمة" لشتيفن جئورجه.

في قصيدة "جرمانيا" ذكر "هولدرلين" أن "الكلمة زهرة الفم" وفي قصيدة "خبز و نبيذ" جاء ما يماثل هذا المعنى فيما يلي:

هكذا الإنسان حين تكون الثروة بين يديه

ويؤثره الرب نفسه بالنعم والهدايا

لايفطن إليها و لا يرعاها

عليه أولا أن يتحمل ويقاسي

لكنه الآن يسمي أعز الأحباب إلى نفسه

ولابد أن تنفتح الكلمات التي تدل عليه

كما تنفتح الأزهار. (29)

يرى "هيدغر" أن عبارة "الكلمة زهرة الفم" إيقاظ لرؤية عميقة وشاملة تعود فيها الكلمة إلى ماهيتها الاصلية أو إلى بدايتها الأولى من حيث قدرتها الفريدة على الإنصات.

ومن جانب آخر أثار" هيدغر" إلى اننا عندما نسمي "الكلمة زهرة الفم" فنحن ننصت إلى صوت اللغة ، وهذا الصوت ينبعث من الارض ، ومن القول الاصلي الذي هو نداء الوجود، بحيث يتجلى ذلك النداء إلى سائر الأشياء ، ويبدو أن هذا الصوت قد تخلص من منظور التفسير الفسيوفيزيائي للصوت واصبح يحمل دلالة انطولوجية خالصة. (30)

إن الكلمة زهرة الفم كما سماها "هولدرلين" أو الكلمات تنفتح كالأزهار، هي الجهة التي تسمح للأرض والسماء وتتدفق الاعماق وقوة الأعالي بأن تتقابل و تتفاعل، وفي هذا التفاعل يتم القرب والإظهار والإحضار، اي يكون الوجود، فليست اللغة شيئا تربطنا به علاقة فحسب، بل هي سيدة العلاقات، ومحركة العالم وكاشفة، وهي التي تعطي وتمنح، تحفظ وتحمي، وعلى الإنسان أن يسكن في بيتها ويحرسه ويرعاه. (31)

وبهذا لقد عاد هيدغر إلى الشعراء خيار أنطولوجيا واستلهم تجربة "هولدرلين" تفكيرا في الاصل، فقد طرح "هولدرلين" مسألة العودة إلى الوطن للإتصال مجددا بالمنابع الإغريقية وبما حفلت به التراجيديا الإغريقية من صراعات لأجل تأكيد الإنتماء، وذلك في قصيدة " العودة إلى أرض الميلاد".

يراهن هيدغر على شجاعة القول الشعري في إختراق صدى النسيان الميتافيزيقي ومقاومة شبح القفر والتصحر الذي أصاب الأرض. (32)

لقد رفع "هولدرلين" الشعر إلى مرتبة فنية ساهمت في إعادة الإنسان إلى التفكير مجددا في ما سقط من النسيان، وبهذا فقد لمس هيدغر في قوله الشعري عمق المفكر فيما لم يفكر فيه الغرب.

يكتب "هولدرلين" الشعر بلغة شذرية، تحمل شعرية الأصل الإغريقي، تحتاج قراءة "هولدرلين " وتأويل صور قصائده إلى منظورية زمانية ، فالزمان يشكل البنية الأنطولوجية للقصيد والعمل الفني، فلا يتوافق الشعر مع مضمونه إلا في وعيه الزماني للوجود وفي تفاعل الذات الشاعرة مع العالم. (33)

وحده الشاعر من يقول المقدس، لأنه وحده الوسيط مابين الإله والعالم يتأول قداسة الآلهة ويسمي المقدس ويجيب عن النداء ويرفع الحجاب عن الجوهر الرسلي للغة ، فيظهر "هولدرلين "ل"هيدغر" شاعرا يتلقى البرق الإلهي ويترسه في الكلام ليدخل هذا الكلام إلى لغة شعبه، يمكث الشاعر تحت العواصف الإلهية، البرق والرعد هما لغة الآلهة، وعلى الشاعر ان يجابه هذه اللغة من غير إحتجاب، يتلقاها ويفسح لها مجالا في موجود الشعب، ولهذا عاد هيدغر إلى هولدرلين لنحت فهم

جديد للآلهة، بهكذا تأويل، ينتزع هيدغر الأولوية الأنطولوجية للإله يمنحها للوجود، يحتاج فهم الآلهة إلى فهم وإلى التاريخاوي. (34)

لقد استدعى هيدغر هولدرلين لقدرة أسلوبه الشعري على تطويع اللغة لحفر الوجود على الإنفتاح، لم يعد الإنسان هو المتكلم، فاللغة تتكلمنا ونحن علينا الإصغاء إلى روح النشيد، لقد مكنته من تحقيق إختراق حقيقي للغة، كانت الاعمال الشعرية لهولدرلين ترافقه كمرجع دائم، أقبل هيدغر على شرح قصائده وبين اهميته كشاعر مفكر اي كشاعر الشعراء حيث عكف على تأمل ماهية الشعر وبالتالي ماهية اللغة و الوجود.

غير أننا لازلنا نتساءل حتى هذه اللحظة عن إختيار هيدغر لهولدرلين مرة أخرى:

فهل كان من الضروري بالنسبة له أن يتكىء على شاعر دخل منطقة الجنون، أي اللاعقل، ولم يخرج منها إلى بعد وفاته؟

هل العقل هو الذي يقوم وراء الشعر أم أن الشعر حالة من الحالات التي لا تدخل خانة العقل أصلا..

يظل الشعر محل اجتهادات لا تتوقف حتى وإن اعتمدت هذه الاجتهادات على ما قاله شعراء فقدوا صوابهم وانزووا بأنفسهم في إحدى الحالات التي تستعصي على الفهم، ومن ثم على منجزات العقل والمنطق البشري ...

الهوامش :

1. Heidegger, approche de Holderlin, trad : André preau, ed : Gallimard , paris, 1962.,P :98.
2. Heidegger, chemins qui ne ménent nulle part, ed : gallimard, paris, 1962, p :324.

3-الفريوي علي الحبيب، مارتن هيدغر "الفن و الحقيقة أو الإنهاء الفينومينولوجي للميتافيزيقا، دار الفارابي، لبنان، ط 1، 2008. ، ص ص 238،239.

4- المرجع نفسه، ص 244.

5- Heidegger, questions III, ed : Gallimard, paris, 1990, p 129.

6- Heidegger : approche de Holderlin, Op-cité, p :55.

7- ibid, p : 50.

8- مفتاح عبد الهادي، "هيدغر: رسالة في النزعة الإنسانية"، مجلة فكر و نقد، ص.ب : 5579 النهضة، الرباط، المغرب، العدد 11، 1998، ص 130.

9- عبد البديع لطفي،" التركيب اللغوي للأدب : بحث في فلسفة اللغة و الاستطيقا"، دار المريخ للنشر، الرياض، (د،ط)، 1989، ص 199.

10- الفريوي علي الحبيب، الفن و الحقيقة، مرجع سابق، ص 235.

11- بومسهولي عبد العزيز، الشعر، الوجود و الزمان، رؤية فلسفية للشعر، إفريقيا الشرق، المغرب، (د. ط). 2002 ، ، ص 20.

12- الفريوي علي الحبيب، الفن و الحقيقة، مرجع سابق، ص 237.

13- هيدغر مارتن، ماذا يعني التفكير؟، تر: نادية بونفقة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر (د،ط)، 2008، ص ص 46-47.

14- هيدغر مارتن، "ما الفلسفة ؟ ما الميتافيزيقا ؟ هولدرلين و ماهية الشعر"، تر : محمود رجب فؤاد كامل، مراجعة : عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة، 1974.، ص 144.

15- توفيق سعيد، الخبرة الجمالية،، دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة، (د.ط)، 2002 ، ص 118.

16- المرجع نفسه، ص 119.

17- عبد السلام جعفر صفاء، مدارات فلسفية، مجلة الجمعية الفلسفية المغربية، العدد 10، وزارة الشؤون الثقافية، المغرب، 2004،ص 157.

18- هارميشال، فلسفة الجمال تر : إدريس كثير و عز الدين الخطابي، منشورات ما بعد الحداثة، المغرب، ط 1، 2005، ص 74.

19- هيدغر مارتن، هولدرلين و ماهية الشعر ، مصدر سابق، ص150.

20- أحمد ابراهيم، أنطولوجيا اللغة عند مارتن هيدغر،، منشورات الإختلاف ، الجزائر، ط1، 2008، ص 103.

21- الفريوي علي الحبيب، الفن و الحقيقة، مرجع سابق، ص 248.

(22) : Heidegger, approche de holderlin, op-cité, p : 162.

23- هارميشال، فلسفة الجمال، مصدر سابق ص 76.

24 - هيدغر مارتن، هولدرلين و ماهية الشعر، مصدر سابق، ص151.

25- هارميشال، هيدغر و الشعر، مجلة فكر و فن، العدد 47، 1988، ص 11.

26-هيدغر مارتن، ماذا يعني التفكير؟ مصدر سابق، ص 49.

27- عبد السلام جعفر صفاء، أنطولوجيا اللغة عند هيدغر: دراسة فلسفية في قصيدة شتيفان جئورجه "الكلمة"، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ، الاسكندرية، ط 1، 2002، ص36.

28- هيدغر مارتن، نداء الحقيقة، ترجمة و تقديم و دراسة : عبد الغفار مكاوي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1977، ص ص : 213-214.

29- المصدر نفسه، ص 217.

30- عبد السلام جعفر صفاء، أنطولوجيا اللغة عند هيدغر: مرجع سابق، ص 44.

31- هيدغر مارتن، نداء الحقيقة، مصدر سابق، ص ص : 213-214.

32- الفريوي علي الحبيب، الفن و الحقيقة، مرجع سابق، ص 243.

33- المرجع نفسه، ص 245.

34- ص ص : 247-248.